



في الثالث من كانون الثاني / يناير من العام 2020، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً اغتيال قائد لواء القدس في الحرس الثوري الإيراني، الجنرال قاسم سليمان، عبر استهدافه بصواريخ أطلقت من طائرة بدون طيار، بالقرب من مطار بغداد الدولي في العراق. إضافة إلى سليمان، استشهد في الهجوم أبو مهدي المهندس، نائب قائد كتائب حزب الله في العراق. وفي أول خطاب له عقب عملية الاغتيال الأثمة، أكد الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، أن رد المقاومة سيكون بإخراج القوات الأمريكية من المنطقة.

■ د. معين الرفاعي
كاتب وباحث
فلسطيني



شكل اغتيال
سليماني صدمة
عالمية. لم تخف الولايات المتحدة وقوفها
وراء اغتيال سليماني، ما شكل اعتداء رسمياً
على الجمهورية الإسلامية في إيران، كان يمكن
أن يشكل مدخلاً إلى حرب مباشرة بينهما،
فحسب، بل أصر رئيس الولايات المتحدة
وقتها، دونالد ترامب، على التباهي بعملية
الاغتيال، زاعماً أن الشهيد سليماني كان يعد
هجومًا وشيكًا على الولايات المتحدة، مستدرًا
- في ما بعد - أن ماضي الجنرال سليماني
يكفي سبباً للتخلص منه. في المقابل، أصرت
الجمهورية الإسلامية في إيران على الرد
عسكرياً، من خلال استهداف قاعدتين للقوات
الأمريكية في العراق، بالصواريخ. زعم الجيش
الأمريكي عدم وقوع إصابات في صفوف
قواته نتيجة الاستهداف، قبل أن يعلن لاحقاً
عن إصابة عشرات الجنود الأمريكيين في
القاعدتين بارتجاجات في الدماغ، تم الكشف
عنها على دفعات.

تنفس العالم الصعداء عندما تبين أن اغتيال
الجنرال سليماني لن يؤدي إلى حرب مباشرة
بين الولايات المتحدة والجمهورية الإسلامية
في إيران. حال اندلاع مثل هذه الحرب، لن
تقتصر أضرارها ونتائجها على منطقة الصراع
العسكري فحسب، بل كان يمكن أن تطال
بأضرارها الجسيمة، مختلف القارات. في حال
اندلاعها، كان العالم سيعاني بقوة من الآثار
الاقتصادية لاشتعال منطقة تضم أهم آبار
البتترول والممرات التي توصله إلى مختلف
الدول التي تحتاج إليه، وأهمها الصين
وأوروبا.

أمام ذلك، طرحت مجموعة من الأسئلة التي
تحتاج إلى إجابات، من بينها: ما هي الدوافع
والأسباب الحقيقية التي دفعت بالولايات
المتحدة، بعيداً عن عنجهية ترامب، إلى اتخاذ
قرار هو أشبه بمجازفة حقيقية كان يمكن أن

يؤدي إلى اندلاع حرب تتجاوز في أبعادها
ومساحتها ونتائجها كل الحروب السابقة
التي خاضتها الولايات المتحدة في المنطقة
منذ العام ١٩٩١ لإخراج القوات العراقية من
الكويت؟ ولماذا اختارت الجنرال سليماني
تحديداً رغم أن الشهيد معروف بقربه من
القائد آية الله علي خامنئي، وأنه ركن أساسي
من أركان الاستراتيجية الإيرانية الخارجية؟
شكل اللواء سليماني القوة العسكرية التنفيذية
للسياسة الخارجية الإيرانية منذ تسلمه منصبه
في العام ١٩٩٨. ومراجعة أبرز التحديات التي
فرضتها الولايات المتحدة وواجهها سليماني
تكفي للدلالة على عمق المسؤوليات التي
نجح في تجاوزها عبر وضع استراتيجيات
مضادة: الغزو الأمريكي لأفغانستان (٢٠٠١)،
ثم غزو العراق (٢٠٠٣) - ما وضع إيران بين
فكي كماشة بوجود ٣٠٠ ألف جندي أمريكي
مدعومين بحاملات الطائرات والسيطرة
الميدانية على الأرض، وبدعم مالي من
الدول المطلة على الخليج الفارسي. ثم بعد
ذلك حرب (٢٠٠٦)، التي أعلنت وزير الخارجية
الأمريكية وقتها، كونداليزا رايس، أن الهدف
منها هو ولادة شرق أوسط جديد. ولاحقاً
العدوان الصهيوني على قطاع غزة (٢٠٠٨ /
٢٠٠٩) بهدف استئصال المقاومة، قبل تكرار
المحاولة في حرب (٢٠١٤)؛ وما بين هذين
العدوانين تفجرت الثورات العربية في أكثر

**”
الأكد هو أن الاستراتيجية
التي اتبعها الجنرال سليماني
في مواجهة المخططات
الاستراتيجية الأمريكية أثبتت
نجاحها في المواجهات،
وأجبرت الولايات المتحدة
على اتخاذ قرار تخفيف
حضورها وتدخلها في منطقة
غرب آسيا.“**

من بلد إلى أن وصل العدوان الأمريكي إلى
سوريا (٢٠١١)، ثم بروز تنظيم داعش (٢٠١٥)،
وصولاً إلى حرب اليمن.

الثابت هو فشل الولايات المتحدة في كل
محاولاتها السالفة الذكر في تحقيق أهدافها،
والأكيد هو أن الاستراتيجية التي اتبعها
الجنرال سليماني في مواجهة المخططات
الاستراتيجية الأمريكية أثبتت نجاحها في
المواجهات، وأجبرت الولايات المتحدة على
اتخاذ قرار تخفيف حضورها وتدخلها في
منطقة غرب آسيا.

مثل باقي المصطلحات الغربية بخصوص
المنطقة، ليس ثمة تحديد نهائي للرقعة
الجغرافية التي تشملها المنطقة التي يطلق
عليها (غرب آسيا). المصطلح بذاته ليس
جديداً، وتم استخدامه في القرن التاسع
عشر للدلالة على منطقة جغرافية تقع في
غرب قارة آسيا. لكن هذا المصطلح يتداخل
مع مصطلحات أخرى، مثل (الشرق الأوسط)
و(الشرق الأدنى). وعلى أي حال، فإن
الاستخدام السياسي المعاصر للمصطلح
يضم إضافة إلى دول الشرق الأوسط،
دولاً أخرى مثل: قبرص وأفازيا وأرمينيا
وأذربيجان وجورجيا وأستيا الجنوبية. يشي
بتوسيع المصطلح ليشمل تلك الدول بأن
الاستراتيجية الأمريكية أصبحت تنظر إليها
كجزء من الصراع القادم مع روسيا والصين،
في إطار استراتيجية (عقيدة المحيط الهادئ)
التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي السابق في
مقابله الشهيرة مع مجلة (أتلانتك) في العام
٢٠١٦.

كجنرال عسكري، كان الجنرال سليماني
يدرك أن المخططات الأمريكية لا تقيم وزن
كبير لحدود الدول ولا لسيادتها الوطنية.
وأن الصراع مع القوى الكبرى كان يستلزم
الحضور حيث يجب، وعدم ترك المجال
للولايات المتحدة بتروسيخ نفوذها ووجودها
في المنطقة. مواجهة مشاريع إعادة تشكيل
الشرق الأوسط على النمط الأمريكي كان
يتطلب الجهوية الكاملة في كل تلك
الساحات، وكذلك استراتيجية مضادة تفقد



خوض حروب سريعة، وأن استراتيجية تغيير الحكومات (كما في العراق)، لن تمكن الولايات المتحدة من فرض هيمنتها على الشعوب. في إحدى خطب الجمعة بعد عملية الاغتيال، أثنى القائد خامنئي على استراتيجية سليمان قائلًا: "على النقيض من الولايات المتحدة... يحقق التدخل الإيراني في المنطقة الاستقرار ويهدف إلى منع الاضطرابات... تدخل إيران في المنطقة حتمي وسيستمر". يمكن القول بكثير من الثقة أن أهمية القائد الشهيد قاسم سليمان تجلت ليس في قدراته العسكرية فحسب، ولا في شخصيته الكاريزمية وحدها، بل أيضاً في قدرته على صياغة استراتيجية مواجهة أربكت الاستراتيجية الأمريكية، وأفقدتها القدرة على تحقيق أهدافها، رغم التفوق العسكري والتقني والاقتصادي. ومرة أخرى، وباستقراء الاستراتيجية التي وضعها الشهيد سليمان، يتضح أنها انطلقت من فهم عميق لنقاط القوى في الأمة، ومن نظرة عميقة لتاريخ المنطقة، إضافة إلى مرونة عالية أثناء التطبيق والممارسة الميدانية. انسجمت استراتيجية سليمان مع حقيقة أن منطقة (غرب آسيا) هي بمعظمها الأعم قلب العالم الإسلامي، ولديها من التاريخ والثقافة

من الجبهات، في تحييد التفوق العسكري الأمريكي الذي يعتمد سياسة القصف الجوي الكثيف، والحروب السريعة. أثبتت الحرب في لبنان، كما الاعتداءات المتكررة ضد قطاع غزة، أن سلاح الجو لم يعد كافياً لحسم المعارك حتى في رقع جغرافية ضيقة. كما أثبت العدد الكبير من القتلى في صفوف الجنود الأمريكيين أن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على

”
يمكن القول بكثير من الثقة أن
أهمية القائد الشهيد قاسم
سليمان تجلت ليس في
قدراته العسكرية فحسب،
ولا في شخصيته الكاريزمية
وحدها، بل أيضاً في قدرته
على صياغة استراتيجية
مواجهة أربكت الاستراتيجية
الأمريكية، وأفقدتها القدرة
على تحقيق أهدافها، رغم
التفوق العسكري والتقني
والاقتصادي.
”

الولايات المتحدة زخمها. باستقراء ملامح الاستراتيجية التي وضعها الجنرال سليمان، يتضح تحديد عدد من الأهداف، منها: استنزاف القوات الأمريكية بشكل متواصل في مختلف الساحات، بحيث تفقد قدرتها على شن هجوم تطبق فيه على الجمهورية الإسلامية في إيران. كما حدد لهذه الاستراتيجية هدفاً أعلى بشكل نقطة فاصلة لهزيمة المشروع الأمريكي بشكل نهائي في المنطقة: تحرير القدس. وبما أن استراتيجية الولايات المتحدة كانت تقوم على أساس قلب الحكومات، (التغيير من أعلى)، اعتمد سليمان سياسة التغيير من أسفل، عبر تحشيد الجماهير وتعبئتها لمواجهة الوجود الأمريكي. وفي مواجهة سياسة التقسيم التي اعتمدتها الولايات المتحدة في المنطقة، اعتمد سليمان سياسة تجميع القوى والجهود باتجاه هدف مشترك واحد: تحرير فلسطين. أثمرت الجهود التي بذلها سليمان في استنزاف الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، وتكبيد الخزانة الأمريكية تريليونات الدولارات، ما أثر على الاقتصاد الأمريكي الذي بدأ يخسر تفوقه على الصين، ومنح الوقت الكافي لروسيا المنهارة لاستعادة توازنها. كما نجح سليمان في الحروب التي قادها على كثير



ما يجمعها، وما ينبغي البناء عليه لمواجهة الغزو الخارجي الذي يستهدفها. لم يتوان سليمان في الاتصال مع الجميع، بغض النظر عن العرق أو القومية أو المذهب. وسعى إلى بناء كتلة إسلامية قوامها الشعوب (لا الحكومات)، والشباب (لا الجنود النظاميين)، مستفيداً في ذلك من حقيقة ثقافة الاستشهاد وتاريخ البطولات في ميراث هذه الأمة. ومع ذلك، حافظ لكل فئة ما يميزها عن غيرها، ما دام الجميع يسير باتجاه هدف مشترك. راهن سليمان على بناء وحدة حقيقية للأمة في ميادين القتال والجهد والصراع، لا في مؤتمرات القمم واجتماعات ذوي المصالح المتضاربة. ومن خلال هذه الاستراتيجية استطاع جمع مئات آلاف الشباب المدربين والمستعدين لمواجهة أعتى قوة عسكرية في العالم. وهذا ما يعبر عنه ما كشفه الجنرال رحيم صفوي؛ كبير المستشارين العسكريين لسماحة المرشد أن قاسم سليمان أنشأ ٨٢ لواءً في سوريا والعراق، وهدهما، تضم مقاتلين من جنسيات متعددة. استطاع قاسم سليمان بهذه الاستراتيجية استنزاف القوات الأمريكية في العراق، باعتراف

”

بعد مرور عامين من اغتيال سليمان، بات واضحاً أن كل ما فعله الاغتيال هو حرمان الرجل من رؤية إنجازات وثمار استراتيجيته تتحقق على أرض الواقع. شكل اغتيال سليمان ذروة التعقيد في صراع استراتيجيات الغزو في مواجهة استراتيجية المقاومة، غير أنه فشل في تحقيق انعطافه لصالح الاستراتيجية الأمريكية.

”

بعد مرور عامين من اغتيال سليمان، بات واضحاً أن كل ما فعله الاغتيال هو حرمان الرجل من رؤية إنجازات وثمار استراتيجيته تتحقق على أرض الواقع. شكل اغتيال سليمان ذروة التعقيد في صراع استراتيجيات الغزو في مواجهة استراتيجية المقاومة، غير أنه فشل في تحقيق انعطافة لصالح الاستراتيجية الأمريكية. فالإدارة الأمريكية انسحبت مذلولة ومهانة من أفغانستان، وهي تستعد لسحب قواتها القتالية من العراق، وتخفيف وجودها العسكري في المنطقة، وتحرص على العزوف عن التورط في حرب جديدة في المنطقة. هذه الثمار كلها لم تحصل جزافاً، بل كانت نتيجة تضحيات جسيمة قدمها مئات الآلاف من المجاهدين والشهداء والجرحى في مختلف ساحات المواجهة، وفق استراتيجية واضحة وضعها وقادها الجنرال الشهيد قاسم سليمان.

مركزية فلسطين في استراتيجيته. بحنكته السياسية والعسكرية، أدرك سليمان أن الكيان الصهيوني يشكل قلعة عسكرية متقدمة في قلب المنطقة لخدمة المشروع الغربي. وأن أحد أهم فاعلية استراتيجيته هي في إبقاء الكيان الصهيوني تحت الضغط العسكري والخطر الوجودي. التهديد المتواصل للكيان الصهيوني، وإفشال كل المساعي لإنقاذه، سيشكل ضغطاً كبيراً على استراتيجية الولايات المتحدة، وستدرك في مرحلة ما أن كل ما تقوم به هو استنزاف قدرتها وهبتها واقتصادها لتحقيق هدف لا يمكن تحقيقه، وهو بقاء الكيان الصهيوني. لذلك، كان سليمان، رحمه الله، حريصاً على دعم المقاومة الفلسطينية بكل ما تحتاج إليه وإبقاء السيف مسلطاً فوق الكيان الصهيوني، واستنزافه وصولاً إلى المعركة الأخيرة والحاسمة.

مراكز دراسات أمريكية بأن لواء القدس بقيادة سليمان، كان مسؤولاً عن أكثر من ٨٠٪ من الهجمات التي استهدفت الجنود الأمريكيين. سعى أعداء سليمان إلى استغلال ورقة الخلافات المذهبية، عبر تذكية الصراع السني - الشيعي في المنطقة، من أجل إفشال استراتيجيته. ورغم ضجيج هذه الورقة وعلو صوتها خلال سنوات طويلة، إلا أنها فشلت في تغيير مجريات الأحداث، أو التأثير على إنجازاتها. كان سليمان مدركاً أن الهجوم الأمريكي لا يستهدف مذهباً إسلامياً ويستثني آخر، بل كان يستهدف الجميع بلا استثناء. لذلك حرص على تمتين العلاقات مع باكستان كما ساند الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، أثناء المحاولة الانقلابية الفاشلة (٢٠١٦) وقبلها وبعدها. النقطة المهمة الثانية التي ركزت عليها استراتيجية سليمان هي

”
أثمرت الجهود التي بذلها
سليمان في استنزاف
الوجود العسكري الأمريكي
في المنطقة، وتكبد
الخزانة الأمريكية تريليونات
الدولارات، ما أثر على
الاقتصاد الأمريكي الذي بدأ
يخسر تفوقه على الصين،
ومنح الوقت الكافي لروسيا
المنهارة لاستعادة توازنها.
كما نجح سليمان في الحروب
التي قادها على كثير من
الجبهات، في تحييد التفوق
العسكري الأمريكي الذي
يعتمد سياسة القصف الجوي
الكثيف، والحروب السريعة.

